

الاعتداء على البيئة في العراق: النفايات المشعة والأمراض: آثار أسلحة اليورانيوم المستنزف والحصار(*)

رانيا المصري

جامعة ولاية نورث كارولينا.

مقدمة

عندما سأل وفد من جماعة «أصوات في البرية» (Voices in the Wilderness) طبيباً عراقياً عن الرسالة التي يجب إرسالها إلى الولايات المتحدة من العراق، قال لهم: «انظروا إلى هذا الطفل: ساقان ملتويتان بشكل رديء يتطلب تقويمهما دزينة جراحات. ليس لدينا أي مخدر (بنج) ونعيد أحياناً استخدام مواد يجب ألا تُستخدم إلا مرة واحدة لأننا لا نملك سوى ذلك. هذه هي رسالتي إلى شعب الولايات المتحدة»^(١).

يقول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان «لكل فرد الحق في مستوى معيشة لائق لصحة ورفاه نفسه وعائلته، بما في ذلك المأكل والملبس والسكن والرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية الضرورية، والحق في الضمان في حالة البطالة، والمرض، وعدم الأهلية، والترمل، والتقدم في السن، أو أي نقص في أسباب المعيشة في ظروف خارجة عن إرادته». كل هذه الحقوق، من دون أي استثناء سُرقَت من العراقيين عن طريق القصف الجوي المستمر لمدنهم وقراهم والحصار المفروض عليهم.

نحن نفهم أن فرض أحوال تؤدي إلى سوء التغذية والمرض وزيادة معدلات الوفيات هو جريمة، قانونياً وأخلاقياً. وتدمير أسباب المعيشة التي يعتمد عليها الشعب وتلويث الأرض والماء والهواء هو أيضاً انتهاك لحقوقهم الإنسانية. وذكرت وكالة التنمية التعليمية الدولية التابعة للأمم المتحدة في رسالة إلى لجنة الأمم المتحدة حول حقوق الإنسان في آذار - مارس ١٩٩٧ أن «العوامل البيئية هي حاجز مهم أمام تحقيق حقوق الإنسان وتهديد رئيسي لحق الحياة إن لم نقل البقاء على هذا الكوكب». وبموجب ميثاق جنيف (١٩٧٧)، بروتوكول رقم (١) «يمنع مهاجمة أو تدمير أو إزالة أو تعطيل أشياء ضرورية للمناطق الزراعية لإنتاج المواد الغذائية والمحاصيل والماشية ومنشآت وموارد مياه الشفة وأعمال الري، بهدف محدد هو حرمانها من

(*) في الأصل ورقة قدمت إلى: مؤتمر العرب وأمريكا في القرن الحادي والعشرين، الذي نظمته رابطة الخريجين العرب في أمريكا، المنعقد في بيروت بتاريخ ٢٦ - ٢٨ حزيران/يونيو ٢٠٠٠.
(١) انظر: Charlie Brown, «Letter to the Editor», *British Medical Journal* (25 March 1999).

قيمتها لتوفير العيش للسكان المدنيين أو إلى الفريق المعادي مهما كانت الدوافع سواء لتجويد المدنيين أو لحملهم على النزوح أو لأي دافع آخر». وتواصل الولايات المتحدة تحت قناع الأمم المتحدة وبدعم من تلك البلدان التي توافق على هذه الحرب الدائرة ضد العراق، انتهاك ميثاق جنيف لتدميرها الحربي لبنية العراق التحتية وباختيارها للأسلحة التي تستخدمها ضد العراق ولرفضها «السماح» للعراق باستيراد مواد ضرورية لترميم بنيته التحتية. لقد علمت الولايات المتحدة بأنها تعرّض البيئة للخطر بأعمالها هذه، وهي تعرف أنها بأعمالها تواصل إيذاء البيئة العراقية وإلحاق الضرر بها. وهذا الإصرار في العمل مع الاعتراف بالعواقب المؤذية الواضحة لهذه الأعمال يكشف عن لامبالاة إجرامية في أحسن الأحوال، ونية متعمدة في أسوأها.

وقّع البنتاغون والبيت الأبيض في آب/أغسطس ١٩٩٠ اتفاقاً لإجراء متطلبات قانون وقاية البيئة الوطنية من أجل العمليات الحربية الأمريكية في الخليج، ويقضي القانون بأن على الحكومة الاتحادية أن تدرس ملياً أية آثار بيئية لأي مشروع مقترح ومن ثم تسمح بالمراجعة من الجمهور، وأرجأ البيت الأبيض بدلاً من ذلك المتطلبات القانونية لتقديرات الأثر الذي تتركه مشاريع البنتاغون على البيئة ممكناً بذلك البنتاغون من تجاهل التأثير على البيئة الذي يسببه حشدها الضخم وهجومها. (وشكل هذا الإرجاء أيضاً سابقة تعريض قوانين بيئية أخرى للخطر). ولتفادي المسؤولية، لا يزال البنتاغون يحاول تجاهل الآثار البيئية لأعماله - سواء منها الماضية والحالية - في العراق. وقد أدت هذه الأعمال بشكل مباشر إلى زيادات في معدلات السرطان والولادات المشوّهة وانتشار مرض غير معروف عبر بيئة العراق الطبيعية ونفوق مواشي العراق وتعريض معظمها للخطر. يضاف إلى ذلك أن المخطّط نفسه الذي تتزعمه الولايات المتحدة للحصار الدولي ضد العراق يساهم في مزيد من التدمير لزراعة العراق ووسائط توفير أسباب العيش الذاتية.

النفائات المشعة: استخدام أسلحة اليورانيوم المستنزف

غمرت معظم جنوب العراق خلال القصف المكثف في عام ١٩٩١ موجات من الإشعاع والمواد السامة: جزئيات مشعة من قذائف اليورانيوم المستنزف وغازات أعصاب ومواد كيميائية أخرى وأدخنة من مئات من حرائق النفط^(٢). وأعلن الجنرال الأمريكي شواتزكوف في مستهل الحرب في انتهاك مباشر لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة يحرم بالتحديد هجمات على تسهيلات نووية^(٣). إن تسهيلات الأسلحة القوية والبيولوجية والكيميائية كانت أهدافاً رئيسية للقصف - وقد كان صادقاً في قوله: وقد هوجم ١٨ مصنعاً كيميائياً و ١٠ مصانع بيولوجية و ٢ معامل نووية على الأقل. واكتُشف عبر العراق تساقط غبار كيميائي يتضمّن غاز الأعصاب وغاز الخردل من الأسلحة الكيميائية التي أطلقها القصف. واكتُشف كذلك تساقط غبار كيميائي من مصانع للأسبست مقصوفة ومصنع للإسفنج والمطاط ومصانع نسيج عديدة. وقد انطلقت في البيئة من هذه المواقع المقصوفة كميات هائلة من الملوثات الصلبة والسائلة والغازية بما فيها الكبريت وثاني أكسيد الكربون والأكسيد النتري (الغاز المضحك). ومجموع كمية المتفجرات التي ألقيت على العراق في اليوم الأول من الحرب العسكرية كان معادلاً لقوة القنبلة الذرية التي

Scott Peterson, «DU's Fallout in Iraq and Kuwait: A Rise in Illness?», *Christian Science Monitor*, 29/4/1999.

(٣) هذا القرار اتخذ في ٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠.

ألقيت على هيروشيما. وقد ألقي على العراق أكثر من مائة وأربعين ألف طن من المتفجرات خلال القصف العسكري الذي استمر أربعة وثلاثين يوماً في عام ١٩٩١^(٤).

وكان الأهم والأكثر خطورة من بين التشكيلة الواسعة من أصناف الأسلحة المستخدمة ضد العراق، استخدام اليورانيوم المستنزف، سواء كقذائف خارقة للدروع أو كدروع للدبابات. وكانت هذه أول مرة يستخدم فيها اليورانيوم المستنزف في معركة حية. وكشف تقرير في عام ١٩٩١ لسلطة الطاقة الذرية في المملكة المتحدة عن أن القوات البرية الأمريكية أطلقت ما بين خمسة آلاف وستة آلاف جولة من قذائف متقدمة من اليورانيوم المستنزف الخارقة للدروع. يضاف إلى ذلك أن الطائرات الأمريكية والبريطانية ألقت ما يقرب من خمسين ألف قذيفة وصاروخ من اليورانيوم المستنزف^(٥). ويلطخ أكثر من ثلاثمائة طن متري من ركام اليورانيوم المشع مناطق واسعة في جنوب العراق والكويت^(٦). (وهذا الرقم - الثلاثمائة طن متري من اليورانيوم المشع - لا يشمل ألوف الصواريخ التي ألقيت على العراق في السنوات القليلة الماضية تحت ذريعة «المنطقة المحظورة الطيران». وإذا كان لنا أن نفترض أن هذه الصواريخ تحتوي على يورانيوم مستنزف وهو افتراض واقعي - يكون عندها ما يصل إلى ثمانمائة طن من اليورانيوم المشع يلوث العراق الآن)^(٧).

سجل زمني موجز لليورانيوم المستنزف^(٨)

أخذ اليورانيوم يُستخرج من المناجم ويخضَّب لفصل مادة يو - ٢٣٥ للاستخدام في القنبلة الذرية بدءاً من الأربعينيات. ويشكل اليو - ٢٣٥ أقل من واحد بالمائة من اليورانيوم الطبيعي، وهكذا يكون قد ترك في الولايات المتحدة من مليار رطل (٤٥٥ مليون كلغ تقريباً) من النفايات المشعة - على شكل يورانيوم مستنزف يو - ٢٣٨.

- ١٢ آذار/مارس، ١٩٧٨: يعلن البنتاغون إنتاج قذائف خارقة للدروع من اليورانيوم المستنزف.

- ١٩٧٩: نشر تقرير صادر عن الجيش الأمريكي بعنوان تقدير عبثي لاستخدام اليورانيوم المستنزف.

- ١٤ آذار/مارس، ١٩٨٨: يعلن الجيش الأمريكي إنتاج دبابة إبرامز - MIAI بتصفيح من اليورانيوم المستنزف.

- كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٩: منشور: تأليف فليس زار وآخرون، التلوث الإشعاعي من دروع دبابات إبرامز الثقيلة، قيادة مختبرات الجيش الأمريكي، مختبر البحوث الباليستية.

Ramsey Clark, *The Fire This Time: U.S. War Crimes in the Gulf* (New York: Thunder's Mouth Press, 1992).

Nick Cohen, «Radioactive Waste Left in Gulf by Allies,» *London Independent* (10 November 1991).

D. Albright, «The Desert Glows-with Propaganda,» *Bulletin of the Atomic Scientists* (May 1993), p. 46.

(٧) اتصال شخصي مع دوماشيو لوبيز (Domacio Lopez) خبير اليورانيوم المستنزف، أيار/مايو ٢٠٠٠.

(٨) تمّ استقصاء معظم هذه المعلومات من مشروع السموم الحربية.

- ٧ آذار/مارس ١٩٩١: نشرة لترسل إلى ميدان حرب الخليج من المايجور ويدور حول خطوط إرشادية للتجاوب الآمن والمعالجة قيما يتعلق بتلوث اليورانيوم المستنزف. لم تُرسل هذه النشرة إلى الميدان أبداً.

- ١٩٩١: ثلاثة وعشرون عربية ملوثة باليورانيوم المستنزف أُعيدت إلى الولايات المتحدة لتنظيفها من التلوث في إحدى تسهيلات وزارة الدفاع في سنيلنغ. وقد دُفنت ست دبابات في العربية السعودية وقد اعتُبرت ملوثة بشكل وديء جداً لا يسمح بنقلها.

- ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩١: تكشف صحيفة الأنديفندنت (البريطانية) عن أن تقريراً سرياً لسلطة الطاقة الذرية في نيسان/أبريل ١٩٩١ حذر من أنه يمكن لتلوث اليورانيوم المستنزف الذي خلفته حرب الخليج في ميدان المعركة أن يؤدي إلى خمسمائة ألف وفاة.

- ٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٢: تحطمت طائرة بوينغ ٧٤٧ مخصصة للنقل وتابعة لشركة ال عال في ضاحية بيجرمار من ضواحي أمستردام. وكانت هذه الطائرة تحمل ١٥٠٠ كلف من اليورانيوم المستنزف كمثبت للأثقال في الذيل والجناحين.

- ١٩٩٣: حكمت إحدى محاكم برلين على البروفسور سيفغرت - أورست غونتر مؤسس ورئيس الصليب الأصفر الدولي النمساوي بغرامة لانتهاكه «قانون الطاقة الذرية» بإحضار عياراً نارياً فارغاً من أعيرة اليورانيوم المستنزف معه من ميدان القتال العراقي.

- ٥ آب/أغسطس ١٩٩٦: أقرت اللجنة الفرعية لمكافحة التمييز والحفاظة على الأقليات التابعة للجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في جنيف قراراً يحث كل الدول على كبح جماح إنتاج ونشر أسلحة تحتوي على يورانيوم مستنزف.

- كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٦: نشرت اللجنة الاستشارية الرئاسية حول أمراض قدامى حرب الخليج تقريرها النهائي: استبعاد أن تكون كل التعرضات السامة بما فيها اليورانيوم المستنزف مسببة لمشاكل صحية لقدامى المحاربين. وسمى التقرير الضغط كسبب رئيسي.

- شباط/فبراير ١٩٩٧: ذكرت الصحافة اليابانية أن طائرات ٨ ب التابعة لسلاح البحرية الأمريكي أطلقت رشقات من قذائف يورانيوم مستنزف في عام ١٩٩٥ وعام ١٩٩٦ على جزيرة غير مأهولة تجاه ساحل أوكلندا، وقد اعتذرت الولايات المتحدة وقامت بعملية تنظيف.

- نيسان/أبريل ١٩٩٧: ألغى مركز الدكتور أساف دوراكوفيتش طبيب الصحة النووية في مستشفى ويلمنغتون بعد أن سعى بعناية إلى معالجة مرضاه المعرضين ليورانيوم مستنزف من مجموعة الحرس الوطني الرقم ١٤٤.

- ٦ أيار/مايو ١٩٩٧: ربح شبكة مواطني اليورانيوم المستنزف التابعة لمشروع السموم الحربية جائزة يرهاها المشروع لواحدة من أهم عشرة قصص صحفية لم تنشر العام ١٩٩٦.

* * *

وعلى عكس المفهوم الذي يوحيه اسمه فإن اليورانيوم المستنزف لا يزال يورانيوم. وقد أطلق عليه هذا الاسم لأنه «مستنزف إلى حد كبير من نظيرين آخرين موجودين في اليورانيوم الطبيعي هما يو - ٢٣٤ و يو - ٢٣٥. واليورانيوم المستنزف هو نتاج جانبي لاستخراج نظير يو - ٢٣٤ على نطاق واسع من اليورانيوم الطبيعي لاستخدامه في الوقود النووي والأسلحة

النووية. ونظير يو - ٢٣٨ المتبقّي والذي تُصنع منه قذيفة اليورانيوم المستنزف تظل عالية الإشعاع لفترة نصف حياة قدرها ٤٥٠٠ مليون سنة^(٩).

واليورانيوم المستنزف سلاح فعّال في اختراق الدروع ومصدر بارز للقلق. وكما وصفه جيمس روجواي في صوت القرية (*The Village Voice*) «عندما يُطلق هذا السلاح ينفجر اليورانيوم إلى شعلة شديدة الحرارة إلى حد يقرب من السيولة ويشق طريقه عبر الدرع الفولاذي كشعلة فوسفورية حامية بيضاء. وتؤدي حرارة القذيفة إلى انفجار أي أخرة ناجمة من وقود الديزل في الدبابة المعادية وهكذا يُحرق الملاح الموجود داخل الدبابة حياً»^(١٠). وعند الانفجار يصبح ما يقرب من سبعين بالمائة من اليورانيوم هباءً جويًا^(١١)، مشكلاً جزئيات غبار، وهكذا شاقاً طريقاً أوسع في ما يحيط به من هواء وماء وتراب، ويصبح من الصغر بحيث يدخل في الجوف أو يُستنشق بسهولة من الناس الموجودين في الجوار. وعند الاستنشاق أو الدخول في الجوف يمكن للغبار المشع غير القابل للذوبان أن يسبب ضرراً مهماً. ويمكن لليورانيوم أن يستهدف الكلى أو الهيكل العظمي وقد يتوزع أيضاً بين الكبد والرئة والشحم والعضل^(١٢).

وأوضح تقرير سلطة الطاقة الذرية البريطانية لعام ١٩٩١ مخاطر اليورانيوم المستنزف للسكان المحليين كما يلي: «اليورانيوم المستنزف سيتتشر... بأحجام وكميات مختلفة من جزئيات غبار إلى مواد مختربة وجرعة كاملة الحجم. وسيكون من غير الحكمة للناس البقاء قرب كميات كبيرة من اليورانيوم المستنزف لفترات طويلة، وهذا سيكون بوضوح مثار قلق للسكان المحليين إن هم جمعوا هذا المعدن الثقيل واحتفظوا به». ما هو الذي يُصنّف كمية اليورانيوم المستنزف بالكبيرة؟ وربطت دراسة برعاية الجيش الأمريكي في عام ١٩٩٠ اليورانيوم المستنزف بالسرطان وقالت «ليس هناك أي جرعة من الانخفاض بحيث يكون احتمال تأثيرها صفراً». ويعتقد الدكتور أساف دُراكوفيتش الذي كان رئيساً للطب النووي في المركز الصحي لوزارة لشؤون قدامى المحاربين الأمريكية في ويلمنغتون في ولاية ديلاوير من عام ١٩٨٩ حتى عام ١٩٩٧، أنه حتى أصغر جرعة الفا داخلية، تمثل خطر إشعاع ناشط عالٍ^(١٣). وعلى هذا، فإن سيذهب الشعب العراقي؟ أما فيما يتعلق بجمع هذا المعدن الثقيل فإن العديد من الأطفال في العراق يستخدمون الآن هذه الأعيرة النارية الناشطة الإشعاع لدمى يتلهون بها. وذكر عمال إغاثة تابعون للأمم المتحدة وللمؤسسات الإنسانية يعملون في العراق، أن الأطفال العراقيين يلعبون بقذائف مدفعية فارغة وبديابات دمرتها أسلحة يورانيوم مستنزف، وبأعيرة ناشطة

Curt Wozniak, «Physicians for Social Responsibility Issues Brief on Depleted Uranium», (٩) published on the Physicians for Social Responsibility Website at: <http://www.psr.org> (July 1999), and Dan Bjarnason, «Silver Bullet-Depleted Uranium (1)», Canadian Broadcasting Company TV.

<http://www.tv.cbc/national/pgminfo/du/index.html>.

انظر:

James Ridgeway, «Using Nuclear Bullets», *Village Voice* (15 February 1991). (١٠)

U.S. Army Environmental Policy Institute, *Health and Environmental Consequences of* (١١)

Depleted Uranium Use in the U.S. Army: Technical Report ([Atlanta, GA]: Army Environmental Policy Institute, 1995).

Wozniak, «Physicians for Social Responsibility Issues Brief on Depleted Uranium». (١٢) انظر:

Scott Peterson, «DU's Global Spread Spurs Debate over Effect on Humans», *Christian Science Monitor*, 29/4/1999. (١٣)

الإشعاع لا تزال متناثرة في مناطق واسعة في العراق^(١٤).

وحتى لو كان السكان سيظلون نائنين بعيداً عن الأعمدة الفارغة، فكم يمكنهم البقاء بعيداً عن جزئيات غبار اليورانيوم؟ وقد اعترف تقرير سلطة الطاقة الذرية البريطانية بأنه «إذا دخل اليورانيوم المستنزف في سلسلة الغذاء أو الماء فإن ذلك سيخلق مشاكل صحية كامنة»^(١٥). واعترف تحقيق لمنظمة الصحة العالمية في عام ١٩٩٥ كذلك بهذا الارتباط الممكن مع منتجات مندمجة الآن في سلسلة الأغذية كانت قد استخلصت من يورانيوم مستنزف. وأكدت دراسات في العراق احتمال أن يكون اليورانيوم المستنزف سلسلة الغذاء. وقامت دراسة في العراق في عام ١٩٩٨ نسبة التعرض لإشعاع غاما الخارجي في ست مناطق مختارة في جنوبي العراق (البصرة والزيبر وصفوان وجبل سنان ورميلة الشمالية ورميلة الجنوبية). وقد تلوث بمواد يورانيوم مستنزف ما يُقدَّر بثمانمائة وخمسة وأربعين ألف ومائة طن متري من المزروعات البرية التي تؤكل؛ وتعرض، ٣١ بالمائة من موارد الحيوان إلى تلوث مشع داخلي تعدى المستوى الخلفي الطبيعي؛ وتعرضت عناصر ترابية في مساحة تبلغ مليون وأربعة وأربعين مليون متر مربع للوثائق مشعة تزيد عن عتبة مستوى التسبب في الضرر^(١٦). ولم تعرف بعد الطريقة المحددة التي سيؤثر بها تلوث اليورانيوم المستنزف في النبات والحيوان والتعضيدات المجهرية (Micro-organisms). وما هو واضح على الأقل هو أن تلوث سلسلة الأغذية باليورانيوم المستنزف ستزيد فرص دخول اليورانيوم المستنزف في المواد الغذائية البشرية - وهكذا يزيد تعرض الصحة الإنسانية للمخاطر.

وتكهن تقرير سلطة الطاقة الذرية البريطانية بأنه يمكن أن يموت خمسمائة ألف شخص من تلوث اليورانيوم المستنزف في الخليج «إذا ما استُنشقت المخزونات واستخدمت أسلحة يورانيوم مستنزفة». وتقول سلطة الطاقة الذرية البريطانية في تقرير حديث إن هذا الحساب النظري الصرف غير واقعي بوضوح «إذ أنه سيتطلب أن يستنشق كل فرد كميات معادلة، ولكن مطلق الحجم يدل على مشكلة مهمة»^(١٧). ما هو مدى أهمية المشكلة؟ لقد توصلت دائرة مشروع المواد السامة الحربية والدكتور هاري شرما من جامعة واترلو حديثاً إلى أن الاستخدام الحربي الأمريكي لذخائر اليورانيوم المستنزف في حرب الخليج سيؤدي إلى زيادة من عشرين ألف إلى مئة ألف إصابة سرطانية مميتة في قدامى حرب الخليج ومواطنين عراقيين^(١٨). فهل هذا يشكل «مشكلة مهمة»؟

(١٤) Greg Philo and Greg McLaughlin, «The First Casualties of War,» *New Statesman and Society* (London) (29 January 1993).

(١٥) Geoff Simons, *The Scourging of Iraq: Sanctions, Law and Natural Justice* (New York: St. Martin's Press, 1996).

(١٦) Mikdam Saleh and Ahmed Meqwar, «The Effects of Using Depleted Uranium by the Allied Forces on Men and the Biosphere in Selected Regions of the Southern Area of Iraq,» paper presented at: International Conference on the Health and Environmental Consequences of Depleted Uranium Used by the United States and British Forces in the 1991 Gulf War, Baghdad-Iraq, 2-3 December 1998.

Peterson, «DU's Global Spread Spurs Debate over Effect on Humans».

(١٧)

Military Toxics Project, «Military Toxics Project Confirms NATO is Using DU Munitions

in Yugoslavia and Releases Results of Medical Study Indicating Potential for Fatal Cancers,» Press Release, 4/5/1999.

<http://www.miltoxproj.org/kosovo.html>.

للحصول على النص الكامل، انظر:

هل كان لدى الولايات المتحدة معرفة مسبقة بمخاطر اليورانيوم المستنزف؟

تكهنت تقارير علمية عديدة صدرت قبل أول استخدام لليورانيوم المستنزف في معارك حية ضد العراق بآثار اليورانيوم المستنزف. وربطت دراسة في عام ١٩٩٠ برعاية جيش الولايات المتحدة بين اليورانيوم المستنزف والسرطان وقالت «ليس هناك أي جرعة من الانخفاض بحيث يكون احتمال تأثيرها صفرًا»^(١٩). وذكرت دراسة أمريكية أخرى في عام ١٩٩٠ أن انكشاف الجنود في ميدان القتال للهباء الجوي لليورانيوم المستنزف قد يكون له تأثيرات كآمنة مهمة إشعاعية وسامة^(٢٠). ولاحظ القادة العسكريون آثار اليورانيوم المستنزف خلال حرب الخليج عام ١٩٩١^(٢١).

وبالإضافة إلى النظرية العلمية الراسخة، فقد كان لدى الحكومة الأمريكية أمثلة واضحة عن مخاطر اليورانيوم المستنزف - في الولايات المتحدة ذاتها، والتأثيرات العكسية لليورانيوم المستنزف على السكان المحليين كانت منظورة بوضوح في مناطق معينة في الولايات المتحدة كانت تجري فيها تجارب يورانيوم مستنزف منذ عقود من الزمن، ومنذ بدأ اختبار اليورانيوم المستنزف عام ١٩٧٢ في سوكونرو بولاية نيو مكسيكو، شاهد السكان زيادة في أعداد إصابات السرطان والولادات المشوهة، وتتصف كل المقاطعات في نيو مكسيكو التي يوجد فيها مستويات مهمة تجارياً من اليورانيوم أو عمليات فرز لليورانيوم بنسب وفيات عالية بسرطان المعدة^(٢٢).

وقد لوثت مواد مشعة المياه السطحية والمياه الجوفية والأرض في كونكورد بولاية ماساشوستس في منطقة شركة نيوكليار متالز التي تصنع أسلحة يورانيوم، ووجد اختبار مستقل قامت به منظمة «CREW» أي بحوث المواطنين وحراسة البيئة وهي منظمة محلية، يورانيوم مستنزفاً ثمانية عشر ضعفاً للمستوى العادي. وعلى مدى تسعة أعشار الميل من موقع المصنع. وفي كونكورد ثاني أعلى معدل من سرطان الغدة الدرقية في الولاية ويبلغ ضعفين ونصف ضعف معدل الولاية. وبلغ الخوف من الآثار الكآمنة لتلوث اليورانيوم المستنزف إلى حد أغلق فيه في عام ١٩٨٠ مصنع «National Lead Industry» في نيويورك، والذي يصنع خوارق من اليورانيوم المستنزف لإطلاقه أكثر من ٨٥ رطلاً من غبار اليورانيوم المستنزف في الجو كل شهر - وهذا مجرد جزء بسيط من الثلاثمائة وعشرين طناً التي أطلقت خلال المرحلة العسكرية من حرب الخليج عام ١٩٩١^(٢٣). ويقول دان فاهي (Dan Fahey) في تقرير وضعه عام ١٩٩٩ عن المؤتمر الدولي حول الإصابات بمعدل منخفض من الإشعاع والإجراءات الطبية المضادة شارحاً: «على الرغم من أن البنّتاغون يعترف بوجوب بقاء الناس بعبيدين عن المعدات الملوثة باليورانيوم المستنزف فقد فشل في نقل هذه الرسالة إلى السكان المدنيين في كوسوفو

(١٩) المصدر نفسه.

Science Applications International Corporation [SAIC] Report. Appendix D of (٢٠)

AMMCOM's Kinetic Energy Penetrator Long Term Strategy Study, July 1990.

Dan Fahey, «Case Narratives-Depleted Uranium», 3rd ed. (20 September 1998). Interim (٢١)

Report by the Swords to Plowshares, Inc., National Gulf War Resource Center, and Military Toxics Project, Inc.

José L. Domingo, «Uranium Reproductive Effects», in: Morton Corn, ed., *Handbook of* (٢٢)

Hazardous Materials (San Diego: Academic Press, 1993).

Peterson, «DU's Global Spread Spurs Debate over Effect on Humans».

(٢٣)

والبوسنة والعراق حيث استخدمت القوات الأمريكية ذخيرة يورانيوم مستنزف. وينفي البنتاغون أي مسؤولية لتنظيف تلوث اليورانيوم المستنزف في أراضٍ أجنبية بينما يقوم فقط بعمليات تنظيف محدودة في الولايات المتحدة عندما توجه المجتمعات المحلية ضغطاً كافياً، ويؤكد البنتاغون وينفي مخاطر اليورانيوم المستنزف ويحذر بعض الناس ولكن ليس الآخرين، وينظف بعض المناطق بينما يترك المناطق الأخرى ملوثة. ومثل هذا السلوك لا يؤدي إلا إلى إضافة مزيد من الاضطراب والتشويش في نقاش اليورانيوم المستنزف»^(٢٤).

إلا أن وزارة الدفاع نفسها (البنتاغون) لم تكن مضطربة، لقد كانت تسعى هي إلى الإرباك، وتكشف مذكرتان صدرتا في آذار/مارس ١٩٩١ المعرفة المباشرة للعسكر للإدارة الأمريكية بآثار اليورانيوم المستنزف، وسياسة النفي المتعمدة التي اتبعوها، وإحدى المذكرتين صدرت عن وكالة الدفاع النووية وقالت فيما يتعلق بالإشعاع المؤين الناجم عن اليورانيوم، «أن جزيئات الألفا (غبار أوكسيد اليورانيوم الناجمة عن العيارات المستهلكة تسبب قلقاً صحياً، ولكن جزيئات بيتا الناجمة عن عيارات سليمة غير منفجرة وعن الشظايا فتشكل خطراً جدياً على الصحة»^(٢٥). أما المذكرة الثانية المعروفة باسم لوس ألاموس فقد أوضحت سياسة النفي التي يتبعها البنتاغون. وجاء في جزء من المذكرة التي كتبها اللقنانت كولونيل م.ف. زيم، «هناك قلق لا يزال مستمراً فيما يتعلق بآثار اليورانيوم المستنزف على البيئة. ولذلك فإننا لم نُثر أي شخص قضية عن تأثير اليورانيوم المستنزف على ميدان القتال فقد تصبح عيارات اليورانيوم المستنزف غير مقبولة سياسياً، وهكذا تشطب من مستودعات السلاح. وإذا أثبتت قذائف اليورانيوم المستنزف الخارقة قيمتها خلال نشاطاتنا القتالية الحديثة فعند ذلك علينا تأكيد ضمان وجودها المستقبلي (إلى أن يتم تطوير شيء أفضل) عن طريق نزعاً طبيعية في الخدمة. وإذا لم يكتنز مفهوم النزع الطبيعية فمن الممكن أن نكون في وضع نخسر فيه قدرة قتال قيمة. واعتقد أن علينا أن نحفظ هذه القضية الحساسة في أذهاننا عند كتابة تقارير ما بعد العمل»^(٢٦). وبعبارة أخرى: لا نتحدث عن المخاطر على الصحة البشرية والأخطار البيئية الناجمة عن اليورانيوم المستنزف إلى أن نجد شيئاً أكثر إهلاكاً لاستخدامه بدلاً منه.

والاعتراف بفظائع هذا السلاح سيؤدي كما أوضح اللقنانت كولونيل بصراحة إلى ضغط سياسي لخفض مبيعات هذا السلاح. وقد أثبتت حرب الخليج ضد العراق عام ١٩٩١ أنها عامل ترويج ممتاز لأسلحة اليورانيوم المستنزف. ويمتلك سبعة عشر بلداً على الأقل حالياً أعيرة مصنوعة من اليورانيوم المستنزف في ترساناتها الحربية. وقد اشترى أربعة عشر من هذه البلدان أعيرة اليورانيوم المستنزف من الولايات المتحدة، وبينها إسرائيل وتركيا واليونان والعربية السعودية والكويت والبحرين وكوريا إلى جانب انكلترا وفرنسا اللتين تشتريان اليورانيوم المستنزف بالجملة من الولايات المتحدة. وتبيع روسيا الآن أعيرة اليورانيوم المستنزف علناً في السوق^(٢٧). (وساهم القصف الحربي في عام ١٩٩١ والنتائج السياسية المحيطة بالحرب بشكل دراماتيكي كذلك في زيادة مبيعات الأسلحة الأمريكية في السوق العالمية.

Dan Fahey, Report on: The International Conference on Low-Level Radiation Injury and Medical Countermeasures, Bethesda-Maryland, 8-10 November 1999.

<http://www.tv.cbc.ca/national/pgminfo/du/doc2.html>.

(٢٥) المذكرة تُقرأ بالكامل بواسطة:

(٢٦) المذكرة المعروفة باسم لوس ألاموس (Los Alamos) تُقرأ بالكامل بواسطة: <http://www.tv.cbc.ca/national/pgminfo/du/doc1.html>.

(٢٧) انظر: Peterson, «DU's Global Spread Spurs Debate over Effect on Humans» and Wozniak, «Physicians for Social Responsibility Issues Brief on Depleted Uranium».

والاعتراف بالمخاطر المتأصلة في استخدام اليورانيوم المستنزف سيعرّز قضية المطالبة بالتعويض والتنظيف إلى جانب تعريض الأرباح الحربية الناجمة عن بيع هذه الطلعة التسعينية من «عامل أورانج». وطالما ظلت الولايات المتحدة وبريطانيا تنفيان مخاطر اليورانيوم المستنزف يظل بمقدورهما الاستمرار في (محاولة) نفي أي مسؤولية للقيام بأعمال تنظيف. مع العلم أن الولايات المتحدة ستبني تسهيلاً في ساوث كارولينا بكلفة أربعة ملايين دولار لبدء عملية إزالة تلوث ٢٣ عربة أمريكية من حرب الخليج^(٢٨) عام ١٩٩١، وكلفة تنظيف كل المعدات في العراق والكويت والعربية السعودية من التلوث - إذا أغفلنا ذكر التربة - ستكون مهمة. وكلفة تنظيف شطايا وغبار يورانيوم مستنزف يقدر وزنها بـ ٥٢ ألف رطل منتشرة على مساحة ٥٠٠ فدان في منطقة أُغلقت حديثاً في ولاية أنديانا، تم تقديرها بما يتراوح بين أربعة مليارات وخمسة مليارات دولار^(٢٩). وكلفة تنظيف ما يقرب من ثلاثمائة طن من جزيئات غبار اليورانيوم المستنزف المنشورة فوق مساحات كبيرة من العراق والكويت والعربية السعودية يمكن تقديرها بسهولة تبعاً لذلك بعشرات مليارات الدولارات.

وهناك أيضاً قضية اليورانيوم المستنزف القاض. وهذا اليورانيوم - ٢٣٨ الذي يتبقى عندما ينفصل اليورانيوم المخصب القابل للانشطار والقادر على توليد انفجار نووي أو طاقة نووية عن اليورانيوم الطبيعي. ومخزون الولايات المتحدة من يورانيوم - ٢٣٨ يتعدى حالياً مليار رطل، ومع الخطط الموضوعة لزيادة إنتاج وقطير الأسلحة النووية في الولايات المتحدة فإن هذا المخزون لا بدّ له أن يزداد. وكما يشرح مشروع السموم الحربية فإن «إنتاج أسلحة اليورانيوم هو فكرة صانعي القنبلة النووية عن إعادة التدوير»^(٣٠).

وقد استخدمت القوات الأمريكية والبريطانية على الرغم من المعرفة المسبقة بالخطر الكامن على الصحة البشرية، كميات مهمة من أسلحة اليورانيوم المستنزف ضد شعب العراق. ولا يتوفر دليل يشير إلى أن شعوب العراق والكويت والعربية السعودية أُنذروا بوجود تلوث يورانيوم مستنزف على أراضيهم. ولم يجر أي تنظيف لمعدات أو مناطق في العراق ملوثة باليورانيوم المستنزف. ويستمر استخدام وبيع أسلحة اليورانيوم المستنزف على الرغم من النداءات المتعددة لخطر سلاح الدمار الشامل هذا.

هل بإمكان الشعب العراقي وقاية نفسه من هذه النفايات المشعة، بينما يرزح تحت العقوبات؟

تعرّض مئات الألوف من الجنود الأمريكيين إلى اليورانيوم المستنزف خلال القتال أو خلال جولات بعد المعركة على «الخط الامامي»^(٣١). وقد أبلغ حالياً واحد من كل سبعة من المحاربين الأمريكيين في حرب الخليج تقريباً عن سلسلة أعراض تعرف باسم الأعراض المترتبة

(٢٨) دفنت ست عربات أمريكية في العربية السعودية لأنها كانت ملوثة جداً ولا يجوز إعادة شحنها إلى الولايات المتحدة.

Fahey, «Case Narratives-Depleted Uranium».

(٢٩)

Military Toxics Project, «Depleted Uranium: Agent Orange of the 90s-Another Pentagon Coverup».

http://www.miltoxproj.org/Du/Du_Faqs/Du_Faqs.htm.

انظر:

Scott Peterson, «Pentagon Stance on DU a Moving Target,» *Christian Science Monitor*, 30/ (٣١)

4/1999.

لحرب الخليج. وإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للجنود الأمريكيين الذين لم يمكثوا في العراق سوى وقت محدود، فما هو حال صحة ملايين العراقيين الذين لا يزالون يعيشون في هذه المناطق الملوثة؟

والأعراض التي أبلغ عنها قدامى المحاربين الأمريكيون والبريطانيون والتي تتضمن فقدان الذاكرة والمآ في العضل، ولوكيميا، ومشاكل في الكلى والغدة الدرقية مماثلة لتلك الأعراض التي أصيب بها جنود عراقيون^(٢٢). والجنود ليسوا هم الوحيدون المصابين بهذه النفايات المشعة. وقد توصلت دراسات حديثة قام بها علماء عراقيون إلى أن الإصابات بالسرطان والولادات المشوهة بين المدنيين العراقيين، وبخاصة في جنوب العراق ارتفعت بنسبة ٣٠٠ بالمئة منذ العمليات الحربية لحرب الخليج عام ١٩٩١. وحالات السرطان التي تزايدت تشمل اللوكيميا، وسرطان الرئة، وسرطان القنطرة الهوائية، وسرطان المثانة، وسرطان الجلد، وسرطان المعدة للذكور، وسرطان الثدي للإناث^(٢٣). وكان الأطفال هم الأكثر تضرراً، والذين ارتفعت معدلات الإصابة باللوكيميا بينهم بشكل صاروخي، بينما يمنع الحصار المفروض على العراق وصول الأدوية الضرورية للمعالجة. وبالإضافة إلى أنواع السرطان والأمراض الأخرى كانت هنالك أيضاً زيادة دراماتيكية في الولادات المشوهة بينها أطفال ولدوا من دون أذنين أو من دون عينيْن أو من دون أطراف أو بأطراف قصيرة أو من دون أعضاء تناسلية منتظمة أو من دون شق حلقى أو مشوهي القدم أو برؤوس متضخمة. وتقول البروفيسور منى خمّاس عضو اللجنة العراقية لآثار التلوث الناجم عن القصف العدواني إن اللجنة عندما درست المواقع الأقرب إلى مصادر اليورانيوم المستنزف وجدت الحالات الشاذة وغير الطبيعية^(٢٤). وإمكان زيادات في أنواع أخرى من السرطان مثل سرطان الغدة الدرقية وأمراض ومشاكل صحية طويلة المدى لن تظهر إلا بعد الأربعين عاماً من التعرض للإشعاع.

وتتطابق استنتاجات الدراسات العراقية مع نشرات سابقة صادرة عن منظمة الصحة العالمية ومع نتائج دراسات بحوث دولية عن أثر الإشعاع المؤيّن. وذكرت الدكتورة كارول سيكورا من برنامج سرطان منظمة الصحة العالمية، وقوع زيادة في اللوكيميا بمقدار ثلاثة أضعاف في محافظات جنوب العراق. وبالإضافة إلى اللوكيميا وجدت أن «العراق واحد من بضعة بلدان سرطان المعدة أخذ بالازدياد فيها... وسرطان الثدي أخذ في الارتفاع بشكل لا يرحم». وظهرت أنواع جديدة من حالات السرطان، أنواع لم تكن لها أهمية قبل عام ١٩٩١.

بالإضافة إلى الزيادات في نسب السرطان، يجد العراق نفسه مشلولاً بمنظومة صحية مدمرة بحوالي عشر سنوات من أقسى أنواع الحصار.

ووجدت الدكتورة سيكورا بعد عرض مشكلة خدمات السرطان في العراق أنه «كان من

Dominic Evans, «Iraq Accused the West of Inflicting a Health and Environmental Disaster (٢٢) by Firing Radioactive Munitions in the 1991 Gulf War,» *Guardian* (United Kingdom), 2/12/1998.

(٢٣) من دراسات قدمت إلى: International Conference on the Health and Environmental Consequences of Depleted Uranium Used by the United States and British Forces in the 1991 Gulf War, Baghdad-Iraq, 2-3 December 1998.

(٢٤) انظر: المصدر نفسه، وJohn O'Callaghan, «Scientists Told a Conference in London Friday, that Depleted Uranium Shells Have a Legacy of Birth Defects and Death.» Reuters, 30/7/1999.

الواضح فوراً أن هناك نواقص مذهلة في تسهيلات علاج السرطان بسبب عقوبات الأمم المتحدة. مركز سرطان من دون أي مسكن للألم، ووحدة علاج بالأشعة يحتاج فيها كل مريض قضاء ساعة تحت الآلة لأن مصدر الأشعة قديم جداً، وأطفال يموتون من أمراض سرطانية قابلة للشفاء بسبب نفاذ الأدوية اللازمة. كل هذا بات مقبولاً كأنه أمر طبيعي... ومعدات المعالجة بالأشعة وعقاقير المعالجة الكيماوية والمسكنات المطلوبة يوقفها باستمرار المستشارون الأمريكيون والبريطانيون. ويبدو أن هنالك فكرة عامة سخيفة بأن هذه العوامل يمكن تحويلها إلى أسلحة كيماوية أو غير ذلك»^(٣٥). ويحظر الحصار المفروض حتى استيراد المورفين الذي لا يمكن أن يخدم أي هدف آخر سوى تخفيف ألم ضحايا السرطان.

واستيراد معدات العلاج بالأشعة وعقاقير المعالجة الكيماوية والأدوية الأخرى (المنوعة) لن تكون كافية لاستعادة صحة المستشفيات العراقية. وقد ظلت المستشفيات والمراكز الصحية في العراق من دون أية إصلاحات أو صيانة منذ عام ١٩٩١. وازداد هبوط مستوى الطاقة العاملة لمنظومة الرعاية الصحية بنقص المياه والكهرباء وافتقار إلى وسائل النقل وانحيار في نظام الاتصالات^(٣٦). ووجد في واحد من تقارير عديدة لوكالة للأمم المتحدة عن خراب منظومة الرعاية الصحية في العراق أن «نظام الصحة العراقي قريب من الانحيار بسبب عدم وصول الأدوية والمواد الأخرى المنقذة للحياة والمدرجة للاستيراد بموجب اتفاقية النفط مقابل الغذاء... ولا توجد في مخازن الأدوية الحكومية والصيدليات سوى كميات قليلة من الأدوية والمواد الطبية، وتسبب عواقب هذا الوضع ما يقرب من انهيار في نظام الرعاية الصحية الذي يزرع تحت ضغط حرمانه من الأدوية والمواد الأساسية الأخرى ومن قطع الغيار»^(٣٧).

وحذر تقرير للصليب الأحمر الدولي صدر حديثاً، من أن المستشفيات العراقية باتت على حافة الانحيار بسبب خراب البنى التحتية بشكل رئيسي، وقال بيت شغاينزر، رئيس وفد اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق «أن أهم مشكلة في نظرنا في العراق في هذه اللحظة هي الحالة الحرجة الآخذة بالازدياد للبنى التحتية العامة. والمستشفيات لا يمكنها العمل إلا لوقت قصير ومن ثم لا يكون في وسعها العمل أكثر. وتحت هذه الظروف لا يمكنك بالطبع توفير رعاية طبية حتى لو استوردت المعدات من الخارج... وحتى قرار مجلس الأمن الجديد رقم (١٢٨٤) والمرحلة الجديدة من برنامج النفط مقابل الغذاء لا تتناول قضية البنية التحتية للبلد»^(٣٨).

وبينما يتفادى برنامج النفط مقابل الغذاء وقوع مجاعة جماعية فإنه لم يتمكن من تخفيف حدة الأزمة الإنسانية. والبرنامج لا يولد الإيرادات ولا يوفر الواردات الضرورية لمعالجة البنى التحتية المدنية المتداعية في العراق بشكل وافٍ. فعلى سبيل المثال يصب مائة طن من مياه المجاري المبتذلة دون معالجة في نهري دجلة والفرات كل يوم مسببة أوبئة الكوليرا وحمى التيفوئيد والتهاب الجهاز الهضمي. وقد أثر هذا في أكثر قطاعات السكان انكشافاً أي الأطفال

(٣٥) كارول سيكورا: برنامج مكافحة السرطان التابع لمنظمة الصحة العالمية وأستاذ الطب العالمي للسرطان. انظر: Karol Sikora, «Cancer Services are Suffering in Iraq», *British Medical Journal* (16 January 1999).
(٣٦) قَدِّم هذا التقرير إلى مجلس الأمن الدولي في ٣٠ آذار/مارس ١٩٩٩. ويمكن الوصول إلى التقرير الكامل بواسطة: <http://www.un.org/Depts/oip/panelrep.html>.

World Health Organization Report (February 1997).

(٣٧)

Agence France Presse, «Red Cross Says Iraq's Hospitals Close to Collapse», *Jordan Times* (25 January 2000).

والمشردين. يضاف إلى ذلك أن العديد من المواد التي تمس إليها الحاجة لإصلاح البنى التحتية ممنوعة أو مقيّدة على اعتبار أنها مواد «مزدوجة الاستخدام». وقد أوقف مجلس الأمن الدولي حديثاً معدات طبية اشترتها العراق وكانت قد تمّت عليها الموافقة سابقاً بموجب برنامج النفط مقابل الغذاء^(٣٩).

١ - أثر العقوبات في زراعة العراق ووسائلها لدعم نفسها

تمتد آثار القيود المفروضة على العراق بهذا الحصار^(٤٠) إلى ما أبعد من انهيار منظومة الرعاية الصحية. لقد هاجم الحصار أيضاً البيئة بفرض قيود مشددة على استيراد معدات وقطع غيار ومؤن ضرورية لتحقيق ولو أدنى المتطلبات، وبذلك أعاق بشكل جذري أي محاولات لإعادة البنى التحتية التي دُمرت أو تضررت في حرب عام ١٩٩١ وفي عمليات القصف المستمرة التي تلتها، وقد أخرجت «حرب الحصار» هذه التحسينات الضرورية التي تدعو إليها الحاجة في مناطق معالجة مياه الشفة ومعالجة مياه الصرف وجمع النفايات والتخلص منها ومشاكل تلوث الهواء. وعانت زراعة العراق قيوماً معيّنة على استيراد مضخات الري والآلات الزراعية والبذور والأسمدة ومبيدات الحشرات، وازداد انتشار التصحر.

ووصف أمير خليل، مدير منظمة الأغذية والزراعة في العراق في محادثات مع وفد من موظفي الكونغرس الأمريكي خلال زيارته للعراق في عام ١٩٩٩ الأضرار التي ألحقها العقوبات بالزراعة. وكان العراق عندما كان بلداً متطوراً قد حقق نحو ستمائة مليون دولار من الإنتاج الزراعي قبل عام ١٩٩٠؛ أما الآن فإن هذا الإنتاج يقرب من خمسين مليون دولار. ولا وصول للمزارعين العراقيين إلى أي تقانة زراعية جديدة. وأمراض الحيوانات أخذت بالازدياد وملوحة الماء وصلت إلى تسعين بالمئة. وقد تضخّمت المشاكل بسبب الكهرباء العالية للزراعة مما جعلها معتمدة على طاقة توليد كهربائية ومضخات مياه تعمل بالكهرباء وما شابه، ومع ذلك فإن أشياء عديدة «مزدوجة الاستخدام» يحتاج إليها الإنتاج الزراعي «موقوفة» الآن.

ليست قيود التحديد المفروضة على الواردات الضرورية وحدها هي التي أثّرت في التحول السلبي لزراعة العراق. وبموجب إرشادات برنامج النفط مقابل الغذاء لا يسمح للحكومة العراقية بالتحديد بشراء أي سلع منتجة محلياً (باستثناء بند العنصر النقدي في المناطق الشمالية). ونتيجة لذلك حصلت زيادة في أعداد الناس الذي يتركون حقولهم الزراعية وينزحون إلى المدن في محاولة يائسة (ودون جدوى) لإيجاد عمل. ولا يشجع هذا التقييد من الأمم المتحدة كذلك العودة إلى مناطق نزعت منها الألغام حديثاً لاستئناف العمل الزراعي فيها طالما لم يعد هناك وجود لسوق يُعتمد عليها. والقمح الذي كان في وقت من الأوقات يُنتج ويُصدّر بكميات كبيرة أصبح الآن يستورد إلى العراق. وما يمكن أن يكون عليه المنطق الممكن في منع الحكومة العراقية من شراء قمح مُنتج محلياً، إن لم تكن هناك نية متمدة لإضعاف العراق؟

ووصف الدكتور راو سينغ، مدير اليونيسيف في العراق، في هذه المحادثات مع وفد موظفي الكونغرس الأمريكي، الحاجة إلى تشجيع العودة إلى الإنتاج المحلي بما في ذلك الإنتاج

^(٣٩) «U.N. Blocks Medical Equipment to Iraq, Baghdad», Reuters, 15/3/2000.

^(٤٠) طالما أن حالة الحصار هذه مفروضة على العراق بقوات مسلحة (أي أساطيل بحرية وقوى جوية وغيرها) فإنها تصبح حصاراً وليس مجرد عقوبات.

المحلي للأدوية. وبموجب نظام العقوبات ليس من الممكن العودة إلى إنتاج محلي للأغذية إذا تجاوزنا إنتاج الأدوية.

٢ - أمراض الحيوان

أدى الحصار وآثار الغبار السام من اليورانيوم المستنزف، بالإضافة إلى الحقول الزراعية المهجورة، إلى زيادة في أمراض الحيوان والنبات، وحسب منظمة الأغذية والزراعة الدولية فإن أربعة عشر مرضاً تصيب محاصيل، وهو رقم لم يسجل أبداً من قبل في العراق، قد أصابت أشجار النخيل والحمضيات، وقد مات نصف أشجار النخيل الحيوي في العراق، أي ما مجموعه ١٥ مليون شجرة حتى الآن^(٤١). وانخفض عدد المواشي الحلوب بنسبة أربعين بالمئة في السنوات الخمس التي تلت اندلاع الحرب. وكان عدد الأبقار الحلوب قبل الحرب مليون وخمسمائة وأثنى عشر ألفاً، وبحلول عام ١٩٩٥ انخفض عددهم إلى مليون واحد. وعانت قطعان الجاموس خسارة أكبر وتناقصت قطعان الماعز بنسبة ثمانين بالمئة من مليون وثلاثمائة ألف رأس إلى أقل من مائتي وخمسين ألف رأس.

ودمر بالفعل نظام تربية الدواجن في العراق الذي كان يضم ١٠٦ ملايين دجاجة بياضة بين ليلة وضحاها من جراء قصف عام ١٩٩١ عندما أغلقت وحدات تربية الدواجن التي تدار بالكهرباء عبر مختلف أرجاء العراق وعددها ٨٤٠٠ وحدة. ومن المستحيل إعادة العافية إلى نظام تربية الدواجن أو استعادة ما فقد من قطعان الماشية من دون لقاحات وأغلاف خاصة وتيار كهربائي منتظم (يواجه العراق تعتياً كهربائياً لأكثر من عشرين ساعة في اليوم)^(٤٢). ومجرد تلقي اللقاحات بكميات كافية وبتوقيت منتظم أمر مستحيل بموجب العقوبات المفروضة.

فعلى سبيل المثال استدعى الأمر مجلس الأمن الدولي سبعة أشهر للموافقة على ثلاثة عقود لشراء لقاحات لمكافحة أمراض الدواجن. وفي انتظار الموافقة على العقود خسر مربو الدواجن العراقيون ستين بالمئة من طيورهم بسبب المرض. وحتى بعد انتظار الأشهر السبعة ظلت محتجزة عقود حيوية لمركّزات البروتين ومعدات المختبرات^(٤٣).

ويشمل اندلاع أمراض الحيوانات في العراق الدودة الحلزونية ومرض الفم والحافر ومرض (PPR) والحمى المتوجة وباستثناء الحمى المتوجة فإن كل الأمراض الأخرى دخيلة على المنطقة. وهذا التجمع من الأمراض المتفشية في الماشية في العراق هدد بشكل جدي صحة الناس العائشين في هذه المناطق الموبوءة. ومنظمة الأغذية والزراعة قلقة بشكل خاص من إمكان انتشار أمراض الحيوان هذه إلى بلدان أخرى في المنطقة مهددة بذلك الأمن الغذائي^(٤٤). والتركيز

(٤١) «Sanctions Spread Disease Across Middle East», Canadian Broadcasting Corporation (٤١) News, 2/3/1999.

<http://iraqaction.org/disease.html>.

يمكن الوصول إلى النص في:

(٤٢) Leon Barkho, «Iraq Facing Power Outages of More than 20 Hours a Day», Associated Press Worldstream, 25/1/2000.

(٤٣) تقدمت العراق بثلاثة عقود في تموز/يوليو ١٩٩٩؛ وتُذمت الموافقة على هذه العقود في آذار/مارس

Leon Barkho, «Iraqi Poultry Farms Devastated», Associated Press, 15/3/2000.

انظر: ٢٠٠٠.

(٤٤) Food and Agriculture Organization [FAO], «FAO Warns of Danger to Near East if

Outbreak of Animal Diseases in Iraq is Not Contained: Situation Could Threaten Near East Food Security», (April 1999).

يمكن الحصول على البيان الصحفي الكامل من: http://www.fao.org/WAICENT/OIS/PRESS_NE/PRESS/1999/Pren9904.htm.

في قلق منظمة الأغذية والزراعة كما كشف عنه في إصدارات صحفية متعددة هو إمكان انتشار هذه الأمراض إلى خارج العراق أكثر من التركيز على تأثير هذه الأمراض في قطاع الماشية العراقية المصاية، والسكان المعانين من سوء التغذية^(٤٥). وهناك مرضان معينان وصلتا حدود الوباء في العراق وهذان بشكل جدي مواشي العراق وهما الدودة الحلزونية ومرض الفم والحافر.

١ - طفيلية الدودة الحلزونية

ذباب الدودة الحلزونية طفيلية لا مفر منها لكل الحيوانات الحارة الدماء. وهذه الذبابات تصنع بيوضها قرب الجروح الجلدية. وعندما تفقس البيوض تتغلغل في اللحم وتتغذى على الأنسجة الحية مسببة مرض الوهن العضلي الذي إذا لم يُعالج يؤدي إلى أمراض أخرى والتهابات أخرى وإلى الوفاة في النهاية^(٤٦). وأول ما ظهرت هذه في العراق في عام ١٩٩٥. وبحلول كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٦ بلغ عدد الحالات المسجلة خمسة آلاف في الشهر. وبعد عام واحد ارتفع العدد إلى خمسين ألفاً في الشهر. ونقلت الطفيليات العدوى إلى ماشية في اثنتي عشرة محافظة من محافظات العراق الثماني عشرة. ويقول بريان هرسبي من كبار موظفي منظمة الأغذية والزراعة إن «هذه الأرقام هي الحالات المسجلة فقط وبشكل غير رسمي وأظن أنه يمكننا أن نضاعف هذا العدد ونقول ما يقارب المئة ألف رأس ماشية تصاب بالعدوى شهرياً»^(٤٧).

من أين نبتت هذه الطفيلية الغريبة، وهذه الدودة موجودة عادة في معظم أنحاء أفريقيا في شبه القارة الهندية وفي جنوب شرق آسيا؛ وهي لا تستوطن الشرق الأدنى^(٤٨) وقال كل من هرسبي وممثل منظمة الأغذية والزراعة في بغداد أن لا تاريخ للدودة الحلزونية في العراق، وهم لا يعرفون كيف وصلت هذه الدودة إلى البلاد، وتقول إحدى النظريات إن الولايات المتحدة قد نقلت الطفيلية عن عمد إلى العراق. وكانت الولايات المتحدة قد حققت نجاحاً ملموساً في إبادة الدودة الحلزونية عن طريق تربية ذكور ذباب عقيمة للدودة الحلزونية وإطلاقها من الجو في المناطق الموبوءة^(٤٩). ولاحظ مقال في صحيفة بغداد أوبزرفر في تموز/يوليو ١٩٩٧ أنه «للإجابة

(٤٥) سوء التغذية الحاد يعاني منه حالياً ربع الأطفال وبخاصة في مرحلة أكبر بحسب ما ورد في دراسات متعددة للأمم المتحدة بما فيها تقرير الأمم المتحدة عن الحالة الإنسانية الراهنة في العراق المقدم إلى مجلس الأمن في آذار/مارس ١٩٩٩.

(٤٦) Food and Agriculture Organization [FAO], «Screwworm Epidemic Threatens Livestock in Iraq and Neighboring Countries, FAO Warns,» (February 1998).
http://www.fao.org/WAICENT/OIS/PRESS_NE/PRESSENG/ يمكن الحصول على البيان الصحفي من: 1998/Pren9802.htm.

(٤٧) Food and Agriculture Organization [FAO], «FAO Senior Officer, Vector-Borne Diseases, Brian Hursey Talks about the Old World Screwworm Epidemic in Iraq,» (1998).
http://www.fao.org/news/1998/hursey-e.htm. انظر:

(٤٨) M.J.R. Hall, «Screwworm Flies as Agents of Wound Myiasis,» Food and Agriculture Organization Publication.
http://www.fao.org/ag/aga/agat/pd/war/u4220b/u4220b07.htm. انظر:

(٤٩) كان علاج بديل ينتج في مصنع الشفاء في الخرطوم - السودان ويصدر بسعر بسيط يبلغ جزءاً من سعر السوق العالمي. وفي ٢٠ آب/أغسطس ١٩٩٨ قصفت طائرات أمريكية (بصورة غير شرعية) المصنع مدّعية أنه كان يُنتج أسلحة كيميائية - وهو ادعاء ثبت بطلانه فعلياً وكان مصنع الشفاء مدرجاً لإرسال لقاحات بيطرية إلى العراق كجزء من صفقة النفط مقابل الغذاء. انظر: Felicity Arbuthnot, «Biological Warfare: A Little Fly Which Causes Horrendous Injury and Death to Both Animals and People: Courtesy of Uncle Sam?», New Internationalist (September 1999).

عن سؤال كيف جاءت الذبابات إلى العراق لا يستدعي الأمر التطلع بعيداً؛ الطريقة ذاتها التي نقلت فيها الحشرات العقيمة في صناديق على طائرة صغيرة». والطائرات الوحيدة التي تدخل الأجواء العراقية وتخرج منها هي تلك التابعة للأمم المتحدة، أو النفايات المقاتلة للولايات المتحدة والمملكة المتحدة. ولاحظ خبير ألماني في الحرب البيولوجية كذلك أن «العراق آخر ضحية لما يبدو أنه إدخال متعمد للدودة الحلزونية».

ولا يمكن للمرء أن يتأكد، ارتكازاً على المعلومات المتوفرة في الوقت الراهن إن كان الظهور الفجائي غير المعلن لهذا الذباب الخطير عملاً مدبراً. إلا أن هذه الدودة دخلت العراق والتخلص منها تحت نظام الحصار شاق جداً إن لم يكن مستحيلاً. وبحلول كانون الثاني/يناير ١٩٩٨ دعت منظمة الأغذية والزراعة الدولية إلى «إشراف ملح» لوقف انتشار الوباء إلى بلدان مجاورة. وعلى الرغم من أن الطفيلية وصلت إلى حدود إيران الغربية، فقد تمكنت إيران من السيطرة على الوباء عن طريق استخدام المبيدات وبوجود البنى التحتية اللازمة. وكما قال مرسى «لا يملك العراق أية مبيدات أو وسائل النقل اللازمة كثيراً لمكافحة هذه المشكلة». وعلى الرغم من مساعدة في توفير الكيماويات والتحليل والتدريب والمعلومات حول السيطرة على الوباء قيمتها مليون دولار أمريكي وفرتها منظمة الأغذية والزراعة وحكومة هولندا فلا يزال هناك مشكلة مهمة في توزيع المبيدات وفي توفير معدات الرش على نطاق واسع، وكل هذا حيوي لتوفير أي نوع من الوقاية. وتحاول منظمة الأغذية والزراعة فقط الإبقاء على الماشية المصابة على قيد الحياة ولكنها غير قادرة على السيطرة على الوباء وخفضه إلى معدلات يمكن التعامل معها.

ودرس منظمة الأغذية والزراعة في الوقت نفسه إدخال تقنية الحشرة العقيمة على شكل مشابه لما استخدم في ليبيا من ١٩٨٨ إلى ١٩٩٢ في إبادة دودة العالم الجديد الحلزونية، ولكنها تتحرى حالياً «التبرير لدراسة إزالة المشكلة»^(٥٠) لماذا لا تتحرك منظمة الأغذية والزراعة للعمل الآن؟ ويستمر عدد حالات المرض في الازدياد شهراً بعد شهر؛ فأي تبرير مطلوب أكثر من ذلك؟ أو ربما كانت منظمة الأغذية والزراعة لا تقدر استخدام تقنية الحشرة العقيمة لأن ذلك سيتطلب تحليل طيران داخلي مستمر لنشر ملايين ذكور الذباب العقيمة في المناطق الموبوءة؟ هل سيكون مثل هذا التحليل مقبولاً في ظل المناطق المحظورة فيها الطيران حالياً؟ يضاف إلى ذلك أن تقنية الحشرة العقيمة كما ظهر من الحملة الناجحة التي كلفت ٧٥ مليون دولار واستمرت ثلاث سنوات لإبادة حشرة العالم الجديد الحلزونية من ليبيا ستتطلب أيضاً معدات مخبرية لدراسة انتشار المرض ومدى إبادته وإلى شاحنات مبردة لنقل اللقاحات وتسهيلات مواصلات مكثفة^(٥١). وحسب شبكة مراقبة أمراض الحيوانات الإقليمية والسيطرة عليها التابعة لمنظمة الأغذية والزراعة فإن برنامج رقابة فعال لأمراض الحيوانات يتطلب «موارد كافية مثل قوة بشرية حسنة التدريب ووسائل نقل جيدة وتحليلات فعالة ومعالجة معلومات وتسهيلات مواصلات... كيان حواسيب صلب وقطع غياره واتصال على الانترنت كلها أمور حيوية لمعلومات إدارة ومعالجة الرقابة، وكذلك الاتصالات الفعالة وفي تبادل معلومات مرض الحيوان»^(٥٢). وأي

FAO, «FAO Senior Officer, Vector-Borne Diseases, Brian Hursey Talks about the Old (٥٠) World Screwworm Epidemic in Iraq».

Food and Agriculture Organization [FAO], *The New World Screwworm Eradication Programme: North Africa, 1988-1992* (Rome: FAO, 1992).

Food and Agriculture Organization [FAO], «Regional Animal Disease Surveillance and Control Network», (1 September 1998).

<http://www.fao.org/ag/aga/agah/id/radiscon/kuwait.htm>.

من هذه الأعمال - من الطيران إلى المعدات - ممكن للحصار المفروض على العراق، حصار يمنع العراق من إعادة بناء بنيته التحتية. لقد أصبح من الواضح جلياً أنه حتى لو لم تُدخل الولايات المتحدة عمداً دودة العالم القديم الحلزونية، فقد أبقت عمداً وعن معرفة قيوداً مفروضة على العراق تمنع البلد من تنظيف أرضه من هذه الحشرة الطفيلية.

ب - مرض الحافر والفم

هناك وباء آخر يفتك بماشية العراق؛ مرض الحافر والفم. وهذا المرض يُصيب الحيوانات المشقوفة الحافر. ويأكل هذا المرض الجلد عن اللسان والشفاه، ويسبب أضراراً في الأقدام ويترك المرض الحيوانات المصابة غير قادرة على الأكل أو السير فتفقد الوزن وتصبح عقيمة. والحيوانات حديثة الولادة التي ترضع الحليب من أمهاتها المصابة تنفق عادة. وأُبلغ عن انتشار هذا المرض لأول مرة في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٨. وبحلول كانون الثاني/يناير ١٩٩٩ ذكرت الأمم المتحدة أن وباء الحافر والفم أدى إلى نفق خمسين ألف رأس من الماشية وأصاب بالشلل مليون رأس ماشية آخر في العراق، وأُبلغ عن إصابة ٩٨٢٠٠٠ خروف و٥٠٠٠٠ رأس بقر بهذا المرض في فترة تقل عن شهرين؛ ونفق ٤٨٠٠٠ حمل حديث الولادة و٢٠٠٠ عجل في الفترة ذاتها^(٥٣). وبحلول آذار/مارس ١٩٩٩ نفق مليون رأس غنم آخر^(٥٤). والعديد من الباقي من ماشية العراق التي تعد سبعة ملايين رأس تواجه خطراً جدياً بالعدوى وبخاصة أن كل محافظات العراق تقريباً تعاني انتشار هذا المرض. وفيروس هذا المرض معرٍ إلى حد أنه إذا أصيب حيوان به فلا مفر لأي من زملائه في القطيع من الإصابة. وكما شرح السيد أمير خليل، ممثل الأغذية والزراعة في العراق فإن مضامين هذا المرض كارثية: يمكنه تدمير الفلاحين ويمكن أن يصبح الحليب واللحوم حتى أقل قدرة في بلد جعلت نحو عشر سنوات من الحصار النقص فيه أمراً عادياً^(٥٥).

وكما هو الحال مع الدودة الحلزونية فإن عدد الحيوانات المصابة أخذ بالازدياد يوماً؛ ومنظمة الأغذية والزراعة «قلقة جداً» من اندلاع هذا المرض في بلدان أخرى، ولا تملك الحكومة العراقية موارد لوقف هذا الوباء من الانتشار طالما ظل الحصار مستمراً^(٥٦). والعراق ببساطة غير قادر على تقديم المراقبة الكافية والسيطرة على انتشار المرض. وكان العراق بعد شهر واحد من الإبلاغ بانتشار الوباء قد استهلك احتياطييه من جرعات اللقاح البالغ عددها ٢٥٠٠٠٠، وحاولت منظمة الأغذية والزراعة السيطرة على انتشار المرض عن طريق الرش الكيماوي. وعلى الرغم من أن عمليات الرش الكيماوي الزراعي قامت بها طائرات هليكوبتر تابعة لمنظمة الأغذية والزراعة تحت تفتيش اليونيسكوم لأكثر من خمس سنوات في المناطق المحظورة فيها التحليق بفرض من الولايات المتحدة، فقد مُنعت منظمة الأغذية والزراعة في آب/أغسطس ١٩٩٩ من القيام بالرش في منطقة معينة على الرغم من أن الجدول كان يتطلب أسبوعاً إضافياً واحداً فقط لإكمال عملية رش الكيماويات المضادة لمرض الحافر والفم. واستُدعيت نتيجة لذلك طائرات هليكوبتر منظمة الأغذية والزراعة إلى بغداد، وفي اليوم التالي أصاب هجوم جوي المطار الذي

Vijay Joshi, «Livestock Epidemic Threatens Iraq», Associated Press, 28/1/1999.

(٥٣)

«Disease Ravages Iraq's Livestock and Source of Protein, Threatens the Region.» Arabic

(٥٤)

News, 29/3/1999.

<http://iraqaction.org/livestock2.html>.

يمكن الحصول على النص من:

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) المصدر نفسه.

تُحفظ فيه عادة طائرات الهليكوبتر^(٥٧).

ولا يوجد حالياً لدى منظمة الأغذية والزراعة لقاحات كافية لوقف انتشار مرض الحافر والفم^(٥٨). وحتى لو توفرت أموال كافية لشراء اللقاحات، وحتى لو سمحت الولايات المتحدة باستيراد كل اللقاحات الضرورية إلى العراق، فإن العراق لا يزال يفتقر إلى تسهيلات التخزين المطلوبة بما في ذلك عدد كاف من سيارات الشحن المبردة. يضاف إلى ذلك أن التغذية بالطاقة الكهربائية في العراق تكاد تكون قد انهارت كلياً. ويواجه معظم أنحاء العراق تعقماً لأكثر من عشرين ساعة في اليوم. وقال تقرير للأمم المتحدة في عام ١٩٩٨ أن العراق يحتاج إلى استثمار ما يصل إلى ثمانية مليارات دولار لإعادة قطاع طاقته إلى ما كان عليه، كما أنه يحتاج إلى دفع كبير من قطع الغيار^(٥٩).

واندلاع هذا المرض بالتحديد مؤلم بوجه خاص لأن العراق كان قد استأصل هذا المرض منذ سنوات. وكان ينتج ما يكفي من اللقاحات للاستخدام المحلي والتصدير. وكان الفلاحون العراقيون يلقحون حيواناتهم ثلاث مرات في السنة أي أكثر بجرعة واحدة من الحد الأدنى المطلوب. وقال الدكتور فضل عباس جاسم مدير الخدمات البيطرية في العراق في مقابلة مع مجلة نيو انترناشيوناليست إن العمل البيطري العراقي وهو فرنسي الصنع كان «يؤرد لقاحات لأمراض مثل الحافر والفم بسعر الكلفة أو بدون مقابل للبلدان الأخرى في الشرق الأوسط. لقد كان حيواً للمنطقة كلها. والأكثر من ذلك أننا كنا نقدم بأسعار أدنى من أسعار الشركات المتعددة الجنسية»^(٦٠). وهذا المصنع القريب من بغداد لم يدمره قصف العام ١٩٩١ بل مفتشو الأسلحة التابعون ليونيسكوم في ١٩٩٣؛ وقد خشيت يونيسكوم إمكانية تحويل هذا المصنع إلى مصنع لأسلحة بيولوجية أو كيميائية. وتخليص العراق من قدرته على إنتاج أسلحة الدمار الشامل تعني واقعياً إنزاع العراق من قدراته المحلية لوقاية صحة شعبه وقطعان مواشيه.

٣ - نية إجرامية أم لا مبالاة إجرامية؟

أصدرت منظمة الأغذية والزراعة عدة تقارير سنوية تتفجع فيها على حالة الزراعة في العراق. وفي عام ١٩٩٧ كتبت منظمة الأغذية والزراعة أن الإنتاج الزراعي «من المحتمل إن يُقيد بنقص خطير في قطع الغيار للألات الزراعية وكذلك بنقص في الأسمدة، والبذور المحسنة النوعية، والكيماويات الزراعية، واللقاحات، والانتشار الواسع للحشرات، والأعشاب الضارة وأمراض الحيوانات... وتخصيص ٩٤ مليون دولار أمريكي لوااردات تمس إليها الحاجة الزراعية كثيراً في عام ١٩٩٧ كانت غير كافية إجمالاً بالمقارنة مع حاجات إعادة التأهيل والاستثمار في القطاع الزراعي. وبهذا الصدد، من المهم ملاحظة أن التخصيص الحالي لمبلغ ٩٤ مليون دولار ليس سوى عشرين بالمئة فقط من مبلغ الخمسمائة مليون دولار المقدّر من قبل المندوب المنتخب للسكربتير العام للأمم المتحدة لموسم محصول ١٩٩١ - ١٩٩٢»^(٦١). وفي عام ١٩٩٨ كانت

(٥٧) في اتصال بين مدير منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) وبعثة أعضاء الكونغرس الأمريكي إلى العراق عام

١٩٩٩.

«Sanctions Spread Disease Across Middle East».

(٥٨)

Barkho, «Iraq Facing Power Outages of More than 20 Hours a Day».

(٥٩)

Nikki van der Gaag, «Axing the Factory», *New Internationalist* (September 1999).

(٦٠)

<http://www.newint.org>.

انظر:

Food and Agriculture Organization [FAO], Press Release, 5/12/1997.

(٦١)

<http://www.fao.org/giews/english/fs/fs9712/pays/irq9712c.htm>.

انظر:

القصة تكاد تكون نفسها: «الإنتاج الزراعي من المحتمل أن يكون مقيداً مرة أخرى في هذا الموسم بنقص خطير في البذور المحسنة والأسمدة وقطع غيار الآلات الزراعية والكيماويات الزراعية واللقاحات، والانتشار الواسع للحشرات والأعشاب الضارة وأمراض الماشية... وتظل المحاصيل متدنية بسبب فقر إعداد الأرض الناجم عن غياب الآلات وتدني استخدام المدخلات وتدهور نوعية التربة وتسهيلات الري وزيادة إصابة المحصول بالأمراض»^(٦٢). وأثر النقص في مضخات جديدة وقطع غيار لمحطات الضخ القائمة في أعمال الري ومشاريع الصرف كذلك في العراق مضيئاً بذلك بشكل كبير إضعاف السيطرة على التصحر.

وأوقف ممثلاً الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في لجنة قرار الأمم المتحدة (٦٦١) حديثاً عشرة عقود عراقية لاستيراد مواد ومعدات للخدمات البلدية بهدف جمع النفائات^(٦٣). ومنعت لجنة العقوبات الدولية في الآونة الأخيرة أيضاً عقداً عراقياً لاستيراد ست عشرة آلة قلب وريثة خشية أن يكون هذا العقد جزءاً من طلب يمكن استخدامه عسكرياً^(٦٤). هل من سبب وراء هذا السخف؟ هل حقاً يعتقد ممثلاً الولايات المتحدة والمملكة المتحدة أن سيارات الرش والمعاول والرفوش يمكن أن تكون قابلة للتحويل إلى «أسلحة دمار شامل»؟ إن آلات القلب والريثة، هل هي «مواد مزدوجة الاستخدام»؟ هل يمكن لهؤلاء الممثلين المخولين من حكومتيهما أن يعتقدوا بصدق أن البذور الزراعية والمبيدات وقطع الغيار اللازمة للري وقطع الغيار اللازمة لإصلاح معامل معالجة المياه المبتذلة المدمرة - وإن مثل هذه الضروريات الزراعية والبنى التحتية تشكل خطراً أو تهديداً؟ أم أن هذه الأعمال ومواقف الرفض المستمرة للضروريات سياسة متعمدة؟ هل هي كما شرحتها بربارة نمري عزيز الصحافية والمتخصصة بالعلوم الإنسانية «نوع من التخريب لضمان أن العراق لا يمكن أن يصبح مكتفياً ذاتياً بالغذاء»؟^(٦٥).

ربما لم تدخل حكومة الولايات المتحدة دودة العالم القديم الحلزونية، هذه الطفيلية الآكلة للحم إلى العراق، وربما لم تكن الولايات المتحدة تنوي أن يصبح مرض الحافر والفم وباء في العراق عندما دمر مفتشو اليونيسكوم مصنع اللقاحات العراقي، وربما لم تكن الولايات المتحدة تنوي تخريب بيئة العراق بأمراض نباتات وحيوانات أجنبية أو بازدياد نسب الإصابات

Food and Agriculture Organization [FAO], Press Release, 10/2/1998.

(٦٢)

<http://www.fao.org/giews/english/fs/fs9802/pays/irq9802e.htm>.

انظر:

Food and Agriculture Organization [FAO], «Drought in the Near East: Cereal and Livestock Production Down Sharply.» (29 July 1999).

<http://www.fao.org/news/global/gw9914-e.htm>.

انظر:

ملاحظة: ازداد الوضع سوءاً بحلول عام ١٩٩٩ بالإضافة إلى النسبة المتزايدة دائماً لتفشي أمراض الحيوان والنبات في العراق. وقد عانى العراق (والمنطقة بوجه عام) موجة جفاف وبلغ معدل سقوط الأمطار في العراق ٣٠ بالمئة تحت المعدل. وانخفض مستوى المياه في أنهار العراق الرئيسية بأكثر من خمسين بالمئة. وألحق الجفاف أضراراً بحوالى نصف المناطق المزروعة الباقية في العراق وخفّض الإنتاج الحيواني.

«U.S., U.K. Hold Up More Iraqi Contracts,» Iraqi News Agency, 22/12/1999.

(٦٣)

«UN Sanctions Panel Blocks Iraqi Contract for Heart-Lung Machines,» Agence France

(٦٤)

Presse, 3/11/1999.

Barbara Nimri Aziz, «Gravesites: Environmental Ruin in Iraq,» in: *Metal of Dishonor..* (٦٥)

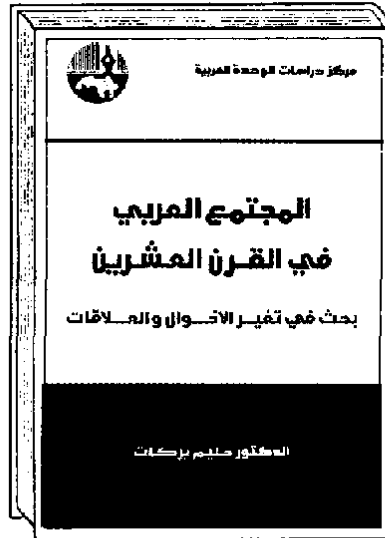
Depleted Uranium: How the Pentagon Radiates Soldiers and Civilians with Du Weapons, selections compiled and edited by the Depleted Uranium Education Project (New York: International Action Center, 1997).

بالسرطان والولادات المشوهة بثلاثة أضعاف أو أربعة في العراق عندما استخدمت القوات الأمريكية أسلحة اليورانيوم المستنزف ضد العراق. ربما، إلا أن الإدارة الأمريكية عرفت بوضوح العواقب، الكامنة لأعمالها، من استخدام اليورانيوم المستنزف إلى المنع المستمر للأشياء الضرورية عن العراق. لقد عرفت الولايات المتحدة ذلك واستمرت بأعمالها هذه. والولايات المتحدة وكل مؤيدي حرب العقوبات ضد العراق يعرفون بوضوح أيضاً آثار العقوبات، وعواقب مثل هذه الأعمال منشورة جيداً ومتوقعة بسهولة. ومع ذلك تستمر الأعمال فهل هذا نية إجرامية أم لامبالاة إجرامية؟ الجواب واضح والطرف المسؤول - والأطراف المسؤولة - معروفة جيداً □

صدر حديثاً

المجتمع العربي في القرن العشرين بحث في تغير الأحوال والعلاقات

د. حليم بركات



يهدف هذا الكتاب إلى تقديم صورة شاملة للمجتمع العربي خلال القرن العشرين تعكس تعقيداته، وخصوصيات أجزائه، وتحولاته، وبناءه الظاهرة والخفية، وتناقضاته، وعلاقاته بذاته والآخر، وموقعه في التاريخ الحديث. ويتم ذلك كله من خلال تحليل اجتماعي نظري منهجي يربط البحث العلمي بقضايا التحول الاجتماعي والثقافي والسياسي، ويدرس الظواهر والوقائع في سياقاتها الاجتماعية والتاريخية مركزاً على التناقضات والصراع، والنظر في تداخل البنى والمؤسسات الاجتماعية، مستنداً إلى مقولات متداخلة تشمل حالة الاغتراب المستعصية وأزمة المجتمع المدني، وتداعي المجتمع من الداخل، وتمحور النظام الاجتماعي السائد حول نواة من الجماعات الوسيطة مما يؤدي إلى تغييب المجتمع وسحق شخصية الفرد المبدع، واستمرارية المرحلة الانتقالية الطويلة في محاولة التغلب على التخلف وتحقيق النهضة وتفاقم التناقضات بمختلف أشكالها في زمن العولمة.

١٠٣٦ صفحة

الثمن: ٢٦ دولاراً